

القرن الأفريقي والاستعمار الأوروبي

للدكتور
محمد
سيد
محمد

لما تم حفر قناة السويس عام ١٨٦٩ ، أصبح البحر الأحمر ممراً مائياً عالمياً ، فسارعت الدول الأوروبية الى الحصول على مراكز لتموين سفنها بالفحم ، ونقط ارتكاز على طول هذا الطريق البحري الهام الموصل إلى بحار الهند والصين والمحيط الهادي .

الفرنسية عام ١٨٧٦ بأن وضعت أيديها على جزيرة سوقطرة الواقعة عند مدخل البحر الأحمر ، كما أنه لما اشتبكت فرنسا في حرب مع الصين عام ١٨٨٣ ، أغلقت بريطانيا ميناء عدن في وجه السفن الفرنسية التي أرادت أن تتزود بالفحم ، وأجابت فرنسا على ذلك بأن بسطت نفوذها على خليج تاجورة وعدة نقاط مجاورة . أمام هذا التحدي أسرع بريطانيا باحتلال زيلع وبربرة عام ١٨٨٤ ، الأمر الذي أقلق بال الأحباش ، لأن الغزو البريطاني لبلادهم

وكان الفرنسيون قبل ذلك التاريخ بسبعة أعوام قد وضعوا أيديهم على محطة على ساحل البحر الأحمر عند (أوبوك) في مقابل خمسة آلاف من الفرنكات ، وكان اختيار أوبوك خطأ كبيراً ، إذ كان على السفن أن تقضي في الميناء ثمان وأربعين ساعة لكي تتزود بما لا يزيد على ستين طناً من الفحم ، فضلاً عن انعدام النشاط التجاري بها ، مما اضطرت معه السفن الفرنسية إلى الاعتماد على ميناء عدن^(١) .

وقد ردت بريطانيا على الحركة

Darcy, J., France et Angleterre: Cent Années de Rivalité Coloniale, Paris 1904, p. 366.

(١)

وفي المحفوظات الإيطالية وثائق سرية تؤيد ذلك ، وأهمها خطاب من الكونت نيجرا (Nigra) السفير الإيطالي في لندن إلى وزير خارجيته مانشيني (Mancini) بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٨٨٤ وجاء فيه ما يلي :

« أن الحكومة الإنجليزية لا تود احتلال ميناء - مصوع على البحر الأحمر بنفسها ، ولما كانت لا تود أن تتخلى عنه (للبرابرة) أو لسلطة دولة منافسة . . . فقد اقترحت أو تقترح على تركيا بوصفها الدولة صاحبة السيادة أن تحتله ، فإذا أقامت تركيا أية صعوبات ، فهل يمكن لإيطاليا أن تحتله هي ؟ » (٣) .

وفي الواقع فإن الإيطاليين ما أن شعروا بازدياد أهمية البحر الأحمر العالمية بعد حفر قناة السويس ، لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، إذ بادرت شركة روباتينو (Rubattino) الملاحية الإيطالية إلى إيفاد البرفسور سابيتو

عام ١٨٦٧/٦٨ في عهد الامبراطور تيودور كان لا يزال ماثلاً في الأذهان ، وكان من الواضح أنه يمكن أن يتجدد ثانية بعد أن وطد يوحنا نجاشي الحبشة مركزه في بلاده ولم يعد يقبل أي تدخل خارجي في شؤون بلاده الداخلية (١) .

ولم يكن في وسع البريطانيين القضاء على التهديد الفرنسي دون الاستعانة بدولة أو مجموعة من الدول ليست لها وقتئذ أية أطماع استعمارية ، وبالتالي ليس هناك خطورة من جانبها ، لذلك فإن بريطانيا دعت صديقتها ايطاليا بعد بضعة أشهر لاحتلال ميناء مصوع بقصد الحيلولة دون وقوع ذلك الميناء الهام على ساحل البحر الأحمر في قبضة فرنسا ، وفي نفس الوقت تكسب بريطانيا معونة ايطاليا في صراعها ضد الدراويش (أتباع محمد أحمد المعروف بالمهدي في السودان) وهي معونة لها أهميتها ووزنها (٢) .

Neri, I., La questione del Nilo, Roma 1939, (٢) pag. 75.
Ibid., pp. 75-76 (en note) (٣)

Pierre-Alype, L'Empire des Négus, Paris (١) 1925, pp. 58-59

محل الشركة ودفعت لها تعويضاً قدره ٦١٤ ألفاً من الفرنكات ، ولكن كان من الصعب إنشاء مستعمرة في عصب ، فالساحل شديد الحرارة فضلاً عن عدم وجود مياه صالحة للشرب ، لذلك فإنها رحبت بالعرض البريطاني بالاستيلاء على ميناء مصوع . ويرى بعض المؤرخين الإيطاليين أن إيطاليا كانت تسعى إلى تحقيق مشروع ضخم ، وهو بدء العمل من مصوع لاحتلال السودان المصري بأكمله ، ومن هناك يمكنها الامتداد إلى دارفور في أقصى غرب السودان ، وضم الأراضي الداخلية (Hinterland) في طرابلس الغرب ، بيد أنه كان هناك فارق كبير بين إمكانية تحقيق مثل هذا المشروع الضخم الذي عبر عنه السنيور مانشيني بأنه يمكن العثور على مفاتيح البحر المتوسط في البحر الأحمر وبين الطاقة الحقيقية للأمة والحكومة في إيطاليا وقتئذ^(٢) .

ولا شك أن اهتمام الحكومة الإيطالية

(Sapeto) عام ١٨٦٩ للاستيلاء على الأراضي المطلة على خليج عصب على ساحل البحر الأحمر وتبلغ مساحتها ٦٣٢ ألف كيلومتر مربع ، وكانت بمثابة ميناء لرسو السفن المتجهة إلى الشرق الأقصى ، وصارت هذه الأراضي تتسع شيئاً فشيئاً بمقتضى معاهدات عقدت مع الزعماء الوطنيين فيما بين عامي ١٨٧٠ ، ١٨٨٠ حتى باتت تمتد من رأس درنة (Darnah) إلى رأس سينتير (Sinthier) .

وفي العاشر من مارس ١٨٨٢ حلت الحكومة الإيطالية محل بيت روباتينو ، وأعلنت أن خليج عصب أصبح من الممتلكات الإيطالية بمقتضى قانون صدر في ٥ يوليو ١٨٨٢^(١) . فإن حكومة إيطاليا برئاسة ديبريتس (Depretis) فكرت في إنشاء مستعمرة أفريقية على ساحل البحر الأحمر لاستمالة الرأي العام الإيطالي الذي كان ساخطاً بسبب ضياع تونس ، لذلك فإن الحكومة حلت

Neri, op. cit., p. 77.

(١) Rossetti, Storia Diplomatica dell'Etiopia durante il Regno di Menelik II, Torino 1910, pag. 20.

« إننا لا نسعى وراء المغامرة . . . اننا قد وضعنا أيدينا على هذين الميناءين (بيلوك ومصوع) كما سبق أن وضعنا أيدينا على عصب ، لتتيح لمواطنينا الذين استقروا هناك الفرصة لإقامة علاقات تجارية ، والعمل على اجتذاب حركة التجارة بين الحبشة وداخل افريقية وبين إيطاليا » .

لذلك فإنه لما دعت بريطانيا الحكومة الإيطالية لاحتلال مصوع ، كان في ذهن الإيطاليين إمكان التوسع الإستعماري^(١) مع تحقيق الأهداف الاقتصادية والتجارية في نفس الوقت^(٢) .

وكانت إيطاليا تبحث عن ذريعة للتدخل وسنحت لها الفرصة عقب اغتيال أحد رجال الكشف الجغرافي الإيطاليين على أيدي الأهالي الذين فتكوا أيضاً بفصيلة من البحارة الإيطاليين بقيادة الملازم

والرأي العام الايطالي بالبحر الأحمر كانت له دوافع سياسية بمثابة رد فعل بعد انتهاء المسألة التونسية عام ١٨٨١ لصالح فرنسا والمسألة المصرية عام ١٨٨٢ لصالح بريطانيا ، إذ بدأ قسم كبير من الرأي العام يشعر شعوراً عميقاً بأنه ينبغي له أن يلعب دوره في حمى التوسع الاستعماري الذي شمل أوروبا كلها في هذه الفترة ، ومن ناحية أخرى كان هذا الاهتمام يتضمن أيضاً اهتماماً بالتجارة بدليل ما ورد في الوثائق التي تبادلها رجال الحكومة الإيطالية مع رجال الدين الإيطاليين والبعثات العديدة التجارية والعلمية التي أوفدتها الجمعية الجغرافية الإيطالية ، وكانت كلها تطالب بتوقيع معاهدات صداقة وتجارة مع زعماء الحبشة . فقد صرح أعضاء الحكومة الإيطالية في البرلمان الايطالي في ٣٠ ابريل ١٨٨٥ بما يلي :

(١) الغرض على اساس انه سبق ان اقامت روما مستعمراتها هناك وعلى انقاض قرطاجنة ، الا ان فرنسا سبقتها الى تونس ، كما ان الساحل الغربي الافريقي وقع في أيدي الفرنسيين والانجليز والامان والاسبان والبرتغاليين .

Neri, op. cit., pag. 79

(٢)

(١) كان مما دفع الإيطاليين الى ان يمدوا ابصارهم خارج شبه الجزيرة الإيطالية ان عددا يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٠٠ الف نسمة كان يهاجر سنويا الى البرازيل والارجنتين والولايات المتحدة ، ففكر الإيطاليون في البحث عن مستعمرة في افريقيا يمكنها ان تستوعب هؤلاء المهاجرين ، وكانوا يتطلعون الى تونس لتحقيق هذا

في مصوع بوصفه خرقاً لمعاهدة هيويت^(٢).

وتتضح أهمية مصوع من موقعها الجغرافي وسهولة مواصلاتها مع الداخل بطريق طبيعي يتجه إلى وادي النيل ، ولهذا السبب اهتمت الحكومة الإنجليزية بالسعي للحيلولة دون وقوع هذا الميناء الهام في يد فرنسا ، فضلاً عن أنه كانت هناك أسباب أخرى تدعو انجلترا لأن يكون لها مصالح حقيقية في الحصول على تأييد إيطاليا لاتفاق مع إيطاليا كان ضرورياً بالنسبة لإنجلترا ؛ فمن شأنه إقامة تعاون مثمر ومستمر يهدد القوة الفرنسية في البحر المتوسط ، كذلك من شأنه أيضاً أن يمنع الوصول إلى اتفاق بين فرنسا وإيطاليا كفيل بأن

بيليري (Biglieri) الأمر الذي أثار غضب الرأي العام الإيطالي مع أن الأهالي كانوا في حالة دفاع شرعي ضد الغزاة الأجانب ، واستدعى الأمر إرسال سفينتين إلى مياه خليج عصب ، ولكن الأهالي لم يسكتوا ، وقتلوا مبعوثاً سياسياً كان موفداً إلى الحبشة ويدعى جوستاف بيانكي (Bianchi) وهنا أسرع إيطاليا باحتلال بيلول (Beilul) ثم مصوع في فبراير ١٨٨٥^(١) . ونزل الأميرال كايمي (Caimi) وأعلن في منشور وزعه على الأهالي أن الحكومة الإيطالية « صديقة انجلترا وتركيا ومصر قد أصدرت له الأوامر باحتلال مصوع » .

وبادر يوحنا نجاشي الحبشة بالاحتجاج بشدة على نزول الإيطاليين

بمقتضاها أن يتسلم النجاشي مقاطعة بوجوص (المعروفة حالياً في اريتريا باسم كيرين) في مقابل تسهيل سحب الحاميات المصرية عن طريق الأراضي الحبشية إلى مصوع . وكان النجاشي قد نال تأكيدات من هيويت بأن بريطانيا لن تتخلى عن ميناء مصوع لأية دولة اجنبية أخرى .

انظر نص المعاهدة في : Rossetti, op. cit., pp. 25-26.

انظر أيضاً : Pierre-Alupe, op. cit., p. 59.

(١) Guyot, L'Italie devant le problème colonial, Paris 1927, p. 13.

(٢) بعد ثورة محمد أحمد المعروف بالمهدي في السودان وقرار إخلاء القطر السوداني في شتاء عام ١٨٨٣ ، أرسلت الحكومة البريطانية بعثة إلى يوحنا نجاشي الحبشة للعمل على تسهيل خروج الحاميات المصرية من المراكز الواقعة على حدود بلاده ، وكانت هذه البعثة برئاسة الأميرال سيروليم هيويت (Hewett) وقد توصلت إلى توقيع معاهدة مع النجاشي في عدوه في ٣ يونيو ١٨٨٤ تقرر

الاستيلاء على الحبشة ، فليس في وسع الإيطاليين أن يقنعوا بذلك الساحل شديد الحرارة ، في حين إن الهضبة بالداخل ذات مناخ أكثر اعتدالاً ، وأرض أكثر صلاحية لإقامة المستعمرات ؛ لذلك فإنهم عمدوا الى اتخاذ الساحل كقاعدة لإدارة عمليات الغزو ، ومنذ ذلك الوقت فتح باب الصراع بين إيطاليا والحبشة (٣) .

ويحسن قبل مناقشة هذا الصراع ، استعراض العلاقات بين الطرفين وتطورها حتى انتهت إلى نشوب الحرب بينهما .

ولما استولت شركة روباتينو على خليج عصب الذي أصبح فيما بعد من ممتلكات الحكومة الإيطالية ، تلقى الرأس منليك ملك مقاطعة شوا الحبشية في الجنوب في ٢٩ يوليو ١٨٨٢ رسالة موقعاً عليها من ملك إيطاليا أومبرتو (Umberto) ورئيس وزرائه مانشيني

يسبب حرجاً لانجلترا ، ويجعل من الصعب عليها تأمين مواصلاتها البحرية مع مصر ومالطة ، ويضغط على الأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط (١) .

في حين يرى بعض المؤرخين بأن إنجلترا كانت تدرك تماماً أن هذا الجزء من الساحل الأفريقي المطل على البحر الأحمر غير صحي ، ولا يصلح لمعيشة جنودها وموظفيها ، ونظراً لأنه كان في الأساس تابعاً لمصر فقد صارت تخشى وقوعه في أيدي أتباع محمد أحمد المعروف بالمهدي مما يهدد مركزها في ميناء سواكن وبالتالي في وادي النيل ، هذا بالإضافة إلى أن تحالفها مع الإيطاليين على الساحل والأحباش في الهضبة كفيل بتقوية مركزها الإستراتيجي في مصر (٢) .

إلا أنه كان طبيعياً أن تتطلع إيطاليا بعد أن وضعت يدها على مصوع ، إلى

Pierre- Alype, op. cit., p. 59.

(٣)

Neri, op. cit., pag. 79.

(١)

Deville, V. Partage de l'Afrique, Paris 1898, p. (٢)

131.



(Mancini) جاء فيها :

« إن الحكومة الإيطالية في سبيل تأمين قاعدة للعلاقات بين البلدين ، وقد نالت بالشراء منطقة عصب التي يمكن ربطها بمقاطعة شوا بطريق سهل مختصر»^(١) .

ولما نزل الإيطاليون في مصوع ، بادرت الحكومة الإيطالية إلى بسط الأسباب التي دعتها إلى ذلك أمام منليك ، فأشارت إلى أن حوادث السودان ومصر (تقصد ثورة محمد احمد المعروف بالمهدي) قد اضطرتها إلى ذلك لما أنعمت الفكر فيما سوف يحدث في مصوع بعد انسحاب الجيش المصري ، الذي انسحب أيضاً من عدة نقاط أخرى في الجنوب على ساحل البحر الأحمر ، ولهذا فإنها اضطرت الى احتلال هذه النقاط لحين أن يسود الأمن والنظام وتحترم حقوق الجميع^(٢) .

ومع ذلك فإن الإيطاليين رغم

اتصالانهم المباشرة بملك مقاطعة شوا لم يهملوا النجاشي يوحنا ، لأن منليك كان في وضع التابع له ، فأرسل الملك أومبرتو الى يوحنا رسالة بتاريخ ١٠ فبراير ١٨٨٥ يقول فيها :

« ويهمني أن أؤكد لجلالتكم أننا سوف نعمل على صون كل المزايا التي ضمنتها بريطانيا العظمى ومصر للحبشة في مصوع^(٣) » .

وهو يقصد المزايا التي نص عليها في معاهدة هيويت ، والتي أثبتت المادة الاولى فيها حرية مرور السلع والأسلحة والذخيرة تحت الحماية البريطانية عن طريق مصوع من الحبشة واليها في حين سمحت المادة الثانية للحبشة بضم اقليم بوغوص (كيرين حالياً) .

ومما لا شك فيه أن يوحنا كان يطمع في الاستيلاء على مصوع ، لأن الاحتلال الإيطالي لهذا الميناء حرمه الاتصال بالبحر مباشرة^(٤) .

Umberto à Giovanni, Monza il 10 Febbraio (٣) 1885. citato dal Rossetti, op. cit., pag 24.

Deville, op. cit., p. 133.

(٤)

Umberto à Menelik, Monza il 29 Luglio 1882, (١) citato dal Rossetti, op. cit., pag. 19.

Rossetti, op. cit., pp. 26- 27.

(٢)

وبذلك فقدت الجبهة الحبشية تماسكها وتضامنها اللذين كانا في وسعهما أن يتيحا للحبشة الصمود امام الغزو الإيطالي .

ففي ١١ مارس ١٨٨٧ أرسل وزير الخارجية الإيطالية السنيور روبيلانت (Robilant) إلى مبعوث إيطاليا لدى بلاط منليك الكونت انطونيللي (Antonelli) يطلب منه الاستفسار من ملك شوا عن النقاط التالية :

أولاً : هل منليك على استعداد في الوقت المناسب لأن يتعاون تعاوناً مستمراً ضد النجاشي يوحنا ؟

ثانياً : وفي هذه الحالة ، على أية صورة يكون هذا التعاون ؟

ثالثاً : وفي حالة عدم الموافقة على التعاون المستمر ، هل من الممكن الاعتماد على منليك لإكراه يوحنا على الاحتفاظ بجزء من قواته للمراقبة في الجنوب او على الأقل الاحتفاظ بحياد منليك في الصراع ؟^(١)

وقد أكد له مستشاروه أن هذا الاحتلال يعد بمثابة مقدمة لغزو الحبشة كلها ، فلما أقدم الإيطاليون على احتلال ساتي (Saati) تأيدت شكوك النجاشي ، ورغم أن الرأس ألولا حاكم مقاطعة همازن عجز أمام قلعة ساتي عن طرد الإيطاليين منها إلا أنه سحق قوة إيطاليا بالقرب من دوجلي .

وبدأت إيطاليا تعد العدة للانتقام لحادث دوجلي ، ورأت إنجلترا أن تتوسط بين الطرفين ، فأوفدت السير جيرالد بورتال (Portal) سكرتير المعتمدية البريطانية بالقاهرة إلى النجاشي ، إلا أن البعثة الانجليزية لم تلق نجاحاً إذ وجدت النجاشي مصمماً على الحرب للدفاع عن بلاده .

ولما تولى السنيور كريسي (Crispi) رئاسة الوزارة الإيطالية بعد وفاة سلفه ديريتس (Depretis) عام ١٨٨٧ ، لعب الايطاليون دورهم بمهارة لإضعاف موقف النجاشي يوحنا عن طريق استمالة الرأس منليك ملك شوا الى جانبهم

(١) Rossetti, op. cit., pp. 29- 30.

فجمع منليك جيشاً قوامه مائة وعشرين ألف مقاتل اتجه بهم إلى بلاد الجالا ، ولكن ما أن تقدم النجاشي يوحنا لملاقاة الإيطاليين حتى أسرع منليك بالعودة إلى شوا ، وفي ٢ يوليو ١٨٨٢ استدعى اليه الكونت انطونيللي وأبلغه صراحة اشمئزاه من مسلك النجاشي واستعداده للاتحاد مع الإيطاليين^(٢) .

وأرسل منليك إلى أومبرتو بتاريخ ٦ يوليو ١٨٨٦ يطلب إرسال ما لا يقل عن عشرة آلاف بندقية ليحمي بها الرعايا الإيطاليين من بطش يوحنا كما سبق له أن بسط حمايته عليهم في هرر ، وأقسم بالألّا تستخدم هذه الأسلحة إلا في أغراض الدفاع عن بلاده^(٣) .

وأجاب أومبرتو في ١٢ سبتمبر ١٨٨٦ بأن الحكومة الإيطالية تود أن ترى مملكة شوا قوية منيعة الجانب وإنه لذلك قد كلف الكونت انطونيللي بأن يوقع معه - بعد موافقته - معاهدة صداقة ، وتجارة تؤكد السلام في الحبشة كلها ، وإنه عن

ورد منليك بأنه يحب إيطاليا كما لو كان هو نفسه إيطالياً ، ولكنه في نفس الوقت مرتبط بقسم الولاء والصداقة للنجاشي ، فضلاً عن أنه ملك أمهري يحب بلاده ، وعرض أن يكون واسطة للسلام ، وهدد بإنه لن يساعد مطلقاً الجانب الذي يبدأ بشن الحرب ، ومع ذلك فإن انطونيللي نجح في أن يوقع معه معاهدة صداقة وتحالف في ٢٠ أكتوبر ١٨٨٧ يتعهد فيها ملك إيطاليا بأن يمد ملك شوا بالمعونة اللازمة من أسلحة وغيرها لتأييد حقوقه مقابل أن يعاون منليك الحكومة الإيطالية في كل الظروف^(١) .

وبالفعل أرسلت إيطاليا في شهر فبراير من العام التالي هدية إلى منليك قوامها ألف بندقية من طراز رمنجتون .

وهنا تلقى منليك الأوامر من النجاشي يوحنا بحشد جنوده في بلاد الجالا للدفاع عن أي غزو محتمل يقوم به أنصار محمد أحمد المعروف بالمهدي في السودان ،

Ibid., pp. 50- 51.

(٣)

Ibid., pp. 23- 24.

(١)

Ibid., pag. 50

(٢)

في الحال ثمن تأييدها لمنليك الذي عقد معها معاهدة صداقة وتجارة في أوتشالي (Ucialli) في ٢ مايو ١٨٨٩ . وقد رسمت المادة الثالثة فيها الحدود بين الحبشة ومستعمرة إريتريا الإيطالية كما سمحت المادة السادسة بتجارة الأسلحة والذخائر من الحبشة واليها عبر ميناء مصوع لنجاشي الحبشة وحده . وتهمنا المادة السابعة عشرة من المعاهدة ونظرا لأهمية هذه المادة فإننا نورد فيما يلي النص الإيطالي لها كما ورد في الوثائق الإيطالية :

« Sua Maestà il Re dei Re d'Etiopia Consente di servirsi del Governo di S. M. il Re d'Italia per tutti la trattazioni di affari che avesse con altre potenze o governi. »

« يوافق صاحب الجلالة ملك ملوك إثيوبيا على الاستعانة بحكومة صاحب الجلالة ملك إيطاليا في كل اتصالاته مع الدول والحكومات الأخرى » (٢) .

طريق هذه الاتفاقيات يمكن جلب السلام والعظمة للحبشة ، ووقف تقدم المسلمين (المهديين) أعدائنا وأعدائكم (١) .

ومن الواضح من نصوص هذه الرسالة ، أن إيطاليا كانت تستهدف من وراء معاهدة الصداقة أن تؤيد منليك في تولي عرش نجاشي الحبشة يوحنا الذي قرر تأديب منليك وغزو شوا ، ولكن زحف السودانين أنصار محمد أحمد صوب بلاده جعله يعدل عن رأيه ويتوجه لملاقاة الأنصار ، وفي ١٠ مارس ١٨٨٩ لقي حتفه في الجبهة السودانية عند المتممة . وكان يوحنا قد أوصى بأن يخلفه ابنه الرأس منجاشا (Mangascia) ملك مقاطعة تيجرة ولكن الطريق باتت مفتوحة أمام منليك - بتأييد من الإيطاليين - لتولي عرش الحبشة رغم أن الرأس منجاشا والرأس ألولا لم يعترفا بأحقية في العرش .

مهما يكن من أمر ، فإن إيطاليا نالت

انظر أيضاً ، pp. 41- 44. Rossetti, op. cit.,

Ibid., pp. 54- 55.

(١)

Libero Verde, «Etiopia», doc. n. 239;

(٢)

نصوص المادة ١٧ من معاهدة أوتشالي فحسب ، بل نشأت أيضاً من قصر نظر الدبلوماسية الإيطالية التي لم تدرك ابداً أن من مصلحتها أيضاً استقلال ملوك الحبشة (الرؤوس) ومنع قيام أية وحدة ملكية سواء أكانت بزعامة منجاشا رأس تيجرة أو منليك رأس شوا والنجاشي الجديد ، لأن هذه الوحدة لا بد وأن تصبح خطراً عليها إذا ما فكرت في غزو الحبشة ، ولكن يبدو أن هذه الدبلوماسية كانت على ثقة من قدرة الجيش الإيطالي على إنزال الهزيمة بالأحباش مثلما هزم الإنجليز من قبل النجاشي تيودور عام ١٨٦٧/١٨٦٨ ، ولكن السياسيين الإيطاليين نسوا أن الإنجليز قبل أن يغامروا بحملتهم هذه ضد الحبشة ، ضمنوا أولاً حياد الرؤوس بعد أن وعدوهم بعدم المساس بمقاطعاتهم وبذلك حرموا النجاشي من كل معونة كان يتوقعها من الرؤوس التابعين له (٢) .

ومن ناحية أخرى كان منليك الثاني

وكان من الممكن أن تقنع الحكومة الإيطالية بهذه النتائج التي توصلت إليها . فهي قد استردت كل البلاد التي تخلت عنها بعد هزيمة دوجلي ، ووضعت يدها على مقاطعة بوجوص (كيرين الحالية) دون أن تطلق رصاصة واحدة ، كما استولت على أسمرة (عاصمة أريتريا الحالية) وعلى أجوردات ، وعقدت معاهدات مع قبائل الهدندوه (من مجموعات قبائل البجاة) كما انها أنشأت الى الجنوب من جبال أسمرة سلسلة من القلاع والحصون لتأكيد سيطرتها على المناطق المجاورة ، و مدت ايضا نفوذها على قسم من قبائل بني عامر (من مجموعات قبائل البجاة) (١) .

غير أنه في الوقت الذي كان يبدو فيه أن مرحلة من الهدوء والاستقرار يمكن أن تسود العلاقات بين إيطاليا والنجاشي الجديد منليك ، رأينا المصاعب تقفز لتعترض سبيل هذه العلاقات وهي لم تنشأ عن الخلاف بينهما حول ترجمة

Deville, op. cit., pp. 136- 38. (٢)

Cocheris, J., Situation Internationale de (١)
L'Egypte et du Soudan, Paris 1903, p 379.

أوتشالي فقد سارعت إيطاليا ببلاغ الدول بأنها قد فرضت حمايتها على الحبشة بالمعنى المصطلح عليه في القانون العام (General Act) لمؤتمر برلين (فبراير ١٨٨٥) والذي اتفقت بمقتضاه جميع الدول على إخطار بعضها البعض بكل ما يتم لها الاستحواذ عليه من الأراضي الأفريقية ، ومثل هذا الإخطار - إن لم يجد اعتراضاً عليه من أية دولة أخرى - كان كافياً لاعتباره بمثابة وضع اليد . ثم بدأت الحكومة الإيطالية بعد ذلك تتطلع لتأمين حدود الامبراطورية التي تصورت أنها استولت عليها بمثل هذه الحيلة البسيطة .

ففي الشمال أي في المنطقة المعروفة باسم أريتريا ، تمكنت من ضم الأراضي باستخدام القوة والخديعة معاً ، فكانت ادعاءاتها لا تخرج عن : الكشف العلمي والجغرافي وتنمية التجارة وحماية الساحل من عدوان تجار الرقيق ، وبذل الوعود باستخدام التعليم الحديث والمهارة الفنية والعلمية والعمل بمقتضى المبادئ المسيحية الحققة^(١) .

له وضع خاص ؛ فإن الاعتقاد السائد بين الأحباش هو أن الحبشة لن تستعيد أمنها ورخاءها إلا تحت حكم الأسرة السلিমانية ولعل هذا يفسر الحماس الشديد الذي استقبل به منليك عندما توج امبراطوراً على البلاد في ٦ نوفمبر ١٨٨٩ ، فهو الابن الأصغر للملك ساهلي - سيلاسي - (Sahlé-Selassié) ملك إيفات وشوا . وكان ملوك هاتين المقاطعتين المتحدتين يمثلون السلالة الوحيدة والباقية - في اعتقادهم - للملك سليمان .

وعكف منليك بعد تنويجه على سياسة داخلية حازمة ؛ فعمل على تركيز السلطة في يده ، وبات الرؤوس مجرد قواد عسكريين وحكام لمقاطعاتهم يرأسون الجيش والإدارة بعد أن كانوا شبه مستقلين لا تربطهم بالنجاشي أية رابطة إلا إذا تلقوا منه دعوة لنجدته .

وفي ميدان السياسة الخارجية لم يلبث أن اصطدم بحلفائه الإيطاليين بسبب تفسير المادة ١٧ من معاهدة

Bankhurst, S., Ex-Italian Somaliland, London 1951, p. 12.

(١)

العام لمؤتمر برلين فبراير ١٨٨٥ ، وبدا
كما لو كانت الأملاك الإيطالية تمتد عبر
القرن الأفريقي من البحر الأحمر إلى
المحيط الهندي ، على أساس أن مسألة
الحماية على أثيوبيا أمر مفروغ منه .

بيد أن حماية إيطاليا للساحل
الأفريقي المطل على المحيط الهندي لم
تكن قد اكتملت بعد ، لأن سلطان
زنجبار كان لا يزال في قبضته جزء هام
من الساحل يضم موانئ قسمي يوبرافا
وميركا ومقدشو وكلها تقع إلى الجنوب
من أراضي أويا والميجورتين . لذلك
دخلت إيطاليا في مفاوضات مع السلطان
للحصول على هذه الموانئ بقصد إنشاء
منافذ بحرية مناسبة على المحيط الهندي
والبحر الأحمر أيضاً للامبراطورية
الحبشية التي اعتقدت أنها باتت في
يدها ، وقد استمرت المفاوضات مع
سيد خليفة ابن سعيد سلطان زنجبار ومع
الحكومة البريطانية أيضاً لأن شركة شرق
أفريقيا والامبراطورية البريطانية التي
يرمزون لها بالحروف (IBEA)

وفي الجنوب أي في الصومال ، لم
تضيق الحكومة الإيطالية وقتها في
الانتظار ، فعمدت إلى الاستيلاء على
مستعمرة أخرى في شرقي أفريقيا على
ساحل المحيط الهندي ، وهي في
الواقع كانت تعد العدة لذلك في نفس
الوقت الذي كانت تستعد فيه لوضع يدها
على أريتريا .

عقد القنصل الإيطالي تشيكي (Cec-
chi) عند وصوله إلى مصب نهر جوبا في
مايو ١٨٨٥ مع سلطان زنجبار اتفاقية
تجارية في أول الأمر على أساس أن
تشمل إيطاليا بحمايتها السلطان يوسف
علي سلطان أويا (Obbia) (٢) .

وعقد القنصل فيلوناردي (Filonardi)
اتفاقية أخرى في فبراير من العام
التالي على أن تشمل هذه الحماية
أيضاً السلطان عثمان محمود يوسف
سلطان الميجورتين (Mijortins) .

وأبلغت الحكومة الإيطالية كافة الدول
بهذه الحماية الجديدة طبقاً للقانون

بتقديم إعانة سنوية للشركة قدرها ثلاثمائة ألف ليرة إيطالية ، ومنحت الشركة حق الشراء والتصرف في الأراضي العامة والمباني ، وحق تعيين الموظفين والضباط ، وإنشاء محاكم قضائية وحق فرض الضرائب والأتاوات والعوائد ورسوم الاستيراد والتصدير وتنظيم التجارة وإنشاء البنوك وإصدار العملة والصرف على الجيش واتخاذ كل ما تراه مناسباً من اجراءات^(١) .

ويرجع عدم اعتراض الإنجليز على وجود الإيطاليين في الصومال الى أن الدولتين أصبحتا متفاهمتين تماماً حول سياستهما في افريقيا ، فسارتا قدما في سبيل تحقيق هدف مشترك وهو القضاء على الثورة المهدية في السودان ، لأنه لم يكن لهما مصلحة في إعادة الحكم المصري إلى السودان ، كما لم يكن من مصلحة الإنجليز وقوع السودان في أيدي دولة أخرى لما في ذلك من خطر على مصالحها في مصر أما الإيطاليون فلم يكن في وسعهم الاستقرار في الحبشة

(Imprial British East Africa) كانت قد نالت من السلطان موانىء برافا وميركا ومقدشو والأراضي المحيطة بها بعمق عشرة أميال بحرية وقرية وارشييك والأراضي المحيطة بها بعمق خمسة أميال بحرية . وقد اقنعت إيطاليا الحكومة البريطانية بالتخلي لها عن هذه الموانىء بمجرد الحصول عليها من سلطان زنجبار عدا ميناء قسمايو الذي تشترك الدولتان في احتلاله . وقد وقع هذا الاتفاق مندوبون عن الحكومتين البريطانية والإيطالية في ١٢ اغسطس ١٨٩٢ ، وسمح بمقتضاه للحكومة الإيطالية بنقل حقوقها إلى شركة فيلوناردي ، وكانت وقتذاك في دور التكوين ، على أن تدير باسم السلطان وتحت رايته وعلى مسؤولية الحكومة الإيطالية ، الموانىء الأربعة برافا وميركا ومقدشو ووارشييك لمدة خمسين عاماً مقابل مبلغ سنوي قدره مائة وستين ألف روبية تدفعها الحكومة الإيطالية للسلطان . وتعهدت هذه الحكومة ايضاً

Guyot, op. cit., p. 17., Bankhurst, op. cit., p. 13, 17-18.

(١)

أشار على الحكومة الإيطالية . . . أن تشق طريقها في داخل افريقيا وأن تفرض حمايتها على الحبشة» (٢) .

وقد وقعت اتفاقية ٢٤ مارس ، ١٥ ابريل ١٨٩٠ بين السفير الإيطالي في روما اللورد دفرين (Dufferin) ورئيس الحكومة الإيطالية المركزي دي روديني .

وقد رسمت الاتفاقية الإيطالية الأولى منها الحدود بين الأملاك الإنجليزية والإيطالية على ساحل الصومال ، وهي تبدأ من مصب نهر جوبا وتسير بحذاء المجرى حتى خط عرض ٦° شمالاً ثم تتجه غرباً حتى خط طول ٣٥° شرقاً وتسير بمحاذاة هذا الخط شمالاً حتى النيل الأزرق . وقد تخلت إيطاليا عن نصيبها في إدارة ميناء قسمايو (٣) .

في حين رسمت الاتفاقية الثانية الحدود بين الحبشة والسودان . غير انه في نفس الوقت كان نشاط الفرنسيين والروس يتزايد يوماً بعد يوم في الحبشة ،

طالما كانت منطقة أعالي النيل والسودان يسودها الاضطراب ، وهذا التشابك في المصالح بين الطرفين هو الذي انتهى بتوقيع معاهدتي ٢٤ مارس ، ١٥ ابريل ١٨٩٠ (١) .

ولعل أهم ما تعرضت له المعاهدتان هو حقوق إيطاليا في الهضبة الحبشية واعتراف انجلترا لها بهذه الحقوق ، ولكنه لم يكن اعترافاً بلا مقابل ، فقد حرصت انجلترا على نيل تأييد إيطاليا لها في البحر الأحمر ضد فرنسا وفي السودان ضد الثورة المهدية . وجدير بالذكر أن لورد سولسبري رئيس الحكومة البريطانية (Salisbury) حين أحيط علماً بحماية إيطاليا على الحبشة وفقاً للمعاهدة أوتشاللي أبلغ القائم بالأعمال الإيطالي في لندن في ٢ نوفمبر ١٨٨٩ بما يلي :

« لقد أوضحت لكم أكثر من مرة في محادثاتي معكم تأييدي الكامل لهذا الاقتراح ، واني أشعر الآن بالسرور ، لأنه عقب احتلال مصوغ كنت أول من

(٣) Rossetti, op. cit., pag 132.

(١) Deville, op. cit., p. 139.

(٢) Neri, op. cit., pag. 82.

الحبشة ؛ فتحركوا للعمل بسرعة ، وعقدوا مع إيطاليا بروتوكول ٥ مايو ١٨٩٤ الذي وقع عليه عن الجانب الإيطالي السنيور كريسبي (Crispi) بوصفه وزيراً للخارجية وعن الجانب البريطاني سير فرنسيس كليرفورد (Clare- Ford) سفير بريطانيا في روما ، وقد نص البروتوكول على تخطيط الحدود بين الصومال البريطاني والمناطق التي تطالب بها إيطاليا ، وكانت هناك مذكرة رسمية ملحقة بالبروتوكول :

(Note Officieuse Annexée au)

(Protocol) تخلت بمقتضاها بريطانيا عن هرر لإيطاليا ، ولم تنشر هذه المذكرة .

وفي الواقع لم يكن من حق بريطانيا أن تتخلى عن هرر لأنها ملزمة بموجب معاهدة ٩/٢ فبراير ١٨٨٨ التي عقدها مع فرنسا بآلاً تتخذ أي اجراء من شأنه المساس بمنطقة هرر وذلك في المادة الرابعة من تلك المعاهدة وفيما يلي نصها :

« Les deux gouvernements s'engagent à ne pas chercher à annexer le Harrar ou

فالفرنسيون هم أصحاب الفضل في لفت نظر منليك عام ١٨٩٠ إلى الترجمة الإيطالية للمادة ١٧ من معاهدة اوتشاللي وأثاروه ليحتج عليها لدى الدول ، وهو الاحتجاج الذي تجاهلته بريطانيا تماماً في اتفاقيتي ٢٤ مارس ، ١٥ ابريل ١٨٩٠ مع إيطاليا . ولا شك أن نفوذ فرنسا هو الذي دفع النجاشي منليك لإرسال منشوره لكافة الدول في ١٠ ابريل ١٨٩١ يدعي فيه أحقيته في كافة الأراضي الممتدة حتى النيل وعزمه على مد حدود مملكته إلى حدودها القديمة من الخرطوم إلى بحيرة نيانزا ، ولتوكيد ذلك منح مستشاره الخاص المهندس السويسري الفرد إلج (Ilg) تصريحاً بتنظيم شركة لدراسة مشروع مد خط حديدي من ميناء جيبوتي الفرنسي إلى النيل الأبيض على أن يمر خلال مناطق كافا وهرر وانتوتو .

وفي ٩ مارس ١٨٩٤ منح النجاشي الفرنسيين عقد امتياز مد خط حديدي إلى هرر على أن يمتد فيما بعد إلى أديس أبابا والنيل الأبيض . وهنا أدرك الإنجليز مدى خطورة النشاط الفرنسي في

ذلك في أن الاتفاقية كانت تستهدف منع أي طرف من الطرفين المتعاقدين من تأييد احتلال طرف ثالث لهرر أو في فرض حمايته عليها^(١).

واعتبرت فرنسا بروتوكول ٥ مايو ١٨٩٤ (عملاً يخص الآخرين) (res inter alios acta) فأثارت عليه تحفظات تعادل احتجاجاً في شدتها ، ولكن الحكومة الإيطالية أبلغتها أنها لم تستخدم سوى حقها^(٢).

وبالإضافة إلى المذكرة الرسمية الملحقة بالبروتوكول ، ضمت إليه اتفاقية سرية جاء فيها :

« لحين أن تتمكن إيطاليا من فرض سيطرتها الفعلية على السكان داخل منطقة النفوذ الإيطالية ، فإن لها الحق في أن تصرح للسلطات البريطانية بأن تتخذ الإجراءات المؤقتة التي تراها ضرورية في المناطق التي حددها البروتوكول لحفظ الأمن في منطقة النفوذ البريطانية ؛ فيكون لها الحق في الدخول

à le placer sous leur protectorat. En prenant cet engagement, les deux gouvernements ne renoncent pas au droit de s'opposer à ce que toute puissance acquière ou s'arroge des droits Quelconques sur le Harrar.».

« تتعهد الحكومتان بالألا تسعيا لضم هرر أو وضعها تحت حمايتهما والحكومتان إذ تلتزمان بذلك العهد ، لن تتخليا عن حق معارضة أية دولة أخرى تنال أو تدعي حقوقاً أيّاً كانت على هرر » .

وكان من رأي بريطانيا أنها التزمت بنص هذه المادة ، فهي لم تضم إليها هرر ، وكذلك لم تضعها تحت حمايتها . أما النص الخاص بمعارضة أية دولة ثالثة فهو نص اختياري (Facultative) وليس اجبارياً (Imperative) .

ويدافع المؤرخون الفرنسيون عن وجهة نظر بلادهم بأنه ليس هناك شك مع

Ibid., Rossetti, op. cit., pag. 134. (٢)

Cocheris, op. cit., p. 382. (١)

منفذ على البحر، بل وإن الأراضي الحبشية دخلت في دائرة النفوذ الإيطالي^(٢).

وكان في وسع إيطاليا لو أنها استمرت على سياستها الرشيدة في أفريقيا، أن تحصل على نتائج عظيمة، لولا أن اعتلى رئاسة الوزارة السنيور كريسي عام ١٨٩١ خلفاً للمركز دي روديني، وكان كريسي رجلاً مغامراً يريد الانغماس في المشكلات السياسية الكبرى تشبهاً بمثله الأعلى المستشار الألماني بسمارك، إلا أنه لم يكن يعرف كيف يعد نفسه للنتائج، أو كيف يوازن بين الصعوبات التي تصادفه والجهود التي تتطلبها مجابهة تلك الصعوبات، لذلك لم يكن غريباً أن

في اتصالات مباشرة مع سلطات هرر حين يكون ذلك ضرورياً لتأمين الحدود البريطانية وتهديتها، على ألا يكون في ذلك أي مساس بوضع إيطاليا كدولة صاحبة الحماية على اثيوبيا وملحقاتها، وهو ما اعترفت به فعلاً حكومة صاحبة الجلالة^(١).

وكان ذلك كفيلاً بحرمان فرنسا من أن تؤسس لنفسها في ذلك الموقع الاستراتيجي كما أنه أصبح من نصيب إيطاليا بخلاف ارتيريا، ساحل الصومال حتى نهر جوبا بالإضافة إلى بلاد الحبشة بأكملها وملحقاتها في الجنوب وكافا وهرر، وبذلك وضعت يدها على طول الساحل الممتد من مصوع حتى نهر جوبا، وسدت في وجه الأحباش كل

انظر: Langer, W., The Diplomacy of Imperialism, New York 1935, vol. II p. 131 (Footnote)

(٢) المقصود بدائرة النفوذ هو « تحديد منطقة من الأراضي يمكن للدولة ما بمقتضى الاتفاق مع دولة استعمارية مجاورة أن تمارس فيها نفوذاً سياسياً وإن توقع معاهدات حماية وأن تحصل على امتيازات أو أن تضع المنطقة تحت إدارتها السياسية المباشرة، وأن تستبعد أي نشاط سياسي للدول الأخرى والاحتفاظ بحرية العمل لصالح الدولة صاحبة الامتياز ».

Neri, op. cit., pag. 85.

انظر:

(١) لم تظهر المذكرة الرسمية الملحقة بالبروتوكول أو الإتفاقية السرية في وثائق وزارة الخارجية التي نشرت عام ١٨٩٤، وكذلك لم تظهر في وثائق وزارة الخارجية الإيطالية، ولكن المذكرة تسربت إلى الطبعة الأولى من كتاب Hertset, The Map of Africa By Treaty, London 1894, vol. II p. 669 ولكنها حذفت بعد ذلك من الطبعتين الثانية والثالثة، وظهرت أيضاً في: Woolf, L., Empire and Commerce in Africa, New York 1902, pp. 221 ff., Rossetti, op. cit., pag. 134.

لتوحيد الكنيستين الأرثوذكسيين الحبشية والروسية . ولا شك أن الحماية الروحية لقيصر روسيا كانت هي المناوئ الوحيد للحماية السياسية لإيطاليا ، وهذا يفسر أنه حتى قبل أن يحتج منليك على تحريف نصوص المادة ١٧ من معاهدة أوتشاللي ، لم تخطر حكومة سان بطرسبورج الحكومة الإيطالية بعلمها بهذه المعاهدة ، لأنها لم تكن لتوافق على اعتبار الحبشة في نفس مستوى السلطنات الأفريقية الأخرى ، وهي في نظر روسيا دولة مسيحية استطاعت خلال قرون عديدة الدفاع عن استقلالها ضد المسلمين بل وضد مصر ذاتها عامي ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ (٢) .

وكان الدبلوماسيون الفرنسيون من قصر النظر بحيث لم يدركوا خطورة وجود الإيطاليين في مصوع ، كما أنهم لما أخذوا علماً بمعاهدة أوتشاللي لم يثيروا عليها أية تحفظات ، ولم يدركوا أن من مصلحتهم - وقد التقت بمصلحة

تحل ببلاده النكبات على يديه . وكان الرأي العام الأوروبي خارج دول التحالف الثلاثي^(١) مؤيداً لنجاشي الحبشة منليك على أساس أنه يدافع عن استقلال بلاده ، ومعادياً للسنينور كريسبي باعتباره يمثل قوة غازية معتدية . ولم يكن من مصلحة فرنسا مثلاً ان ترى الحبشة تحت رحمة إيطاليا لأن في ذلك تقوية لنفوذ إنجلترا في البحر الأحمر منذ أن أصبحت إيطاليا دولة تدور في فلك إنجلترا .

وكان في وسع فرنسا ان تعتمد على نفوذ روسيا في الحبشة لمناهضة النفوذ الإيطالي إذ أن روسيا والحبشة يتبعان المذهب الأرثوذكسي ، وقد قويت العلاقات بينهما منذ عام ١٨٤٨ ، كما عملت روسيا من جانبها على أن يكون لها نفوذ روحي كبير في بلد لم يستكمل بعد أسباب الحضارة ، وكان الهدف الذي تسعى إليه هو إصلاح الكنيسة الحبشية بوضعها تحت إشراف بعض رجال الدين من الروس ، وذلك تمهيداً

(٢) Deville, op. cit., pp. 142-43.

(١) إيطاليا ، والنمسا - المجر ، وألمانيا .

الروس (١) تأييد نفوذهم الذي يؤدي بالتالي إلى تقوية نفوذ النجاشي واحتفاظه باستقلاله ورفضه الحماية التي تريد إيطاليا فرضها عليه بالقوة .

وكان من الواجب على فرنسا أن تعمل على تسهيل وصول البعثات الدينية والعلمية الروسية الى الحبشة عن طريق اوبوك ومع ذلك فأنها حتى شهر فبراير ١٨٩١ ، لم تكن قد أدركت بعد الفائدة التي تعود عليها من وراء ذلك حين نزلت بعثة روسية بقيادة أتشينوفا (Atchinof) في منطقة سجاللو (Sagallo) في الصومال الفرنسي وكانت البعثة تضم عدداً كبيراً من رجال الدين ومثبات من الأفراد الذين قدموا للدعاية للمذهب الأرثوذكسي والنفوذ الروسي في الحبشة . ولم يدعن أتشينوفا للأوامر التي صدرت اليه بالعودة إلى السفن التي جاء عليها إلا بعد إطلاق النار عليه ومقتل

خمسة أو ستة من رجاله . وقد أحدث ذلك رد فعل كبير في فرنسا ، حيث كان الشعور العام يعطف على روسيا ، وفتح باب الإكتساب لتعويض اهالي الضحايا الروس وكانت الحكومة الروسية قد أعلنت أن هذه البعثة لم تكن تعمل لحسابها ، ومع ذلك فقد بذلت عدة محاولات رسمية للاتصال بالحبشة . فسمح الفرنسيون بالمرور لبعثة سياسية روسية برياسة ماسكاو (Mascow) ، ولكن البعثة استدعيت بناء على طلب إيطاليا ، ونظم الروس بعثة ثالثة زعموا أنها بعثة علمية قامت بالإشراف عليها الجمعية الجغرافية الامبراطورية الروسية واسندت رئاستها إلى ليوتنيف (Leotinev) . وقد سمحت لها سلطات أوبوك الفرنسية بالنزول في يناير ١٨٩٥ ، بل واستقبلها الحاكم الفرنسي لاجارد (Lagard) وقام بنقلها

(١) رغم أن روسيا ظلت بمعزل عن المنافسات القائمة بين الدول الأوروبية في أفريقيا لأنها اكتفت بالمساحات الشاسعة التي احتلتها في أوروبا وآسيا ، فضلاً عن أن توسعها الإقليمي تم في اتجاه القوقاز وبلاد تركستان وبخارى وسمرقند وطشقند حتى هضاب فرغانة التي تصل بين بامير والهند ، ومع ذلك فإن روسيا لم تتخل يوماً

عما ادعت أنه حقها في حماية المسيحيين الشرقيين الخاضعين للباب العالي ، ثم اتجهت نحو الكنيسة الحبشية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن الخامس . انظر :

(Pensa, H., L'Égypte et le Soudan Égyptien, Paris) 1895, p. 378.

لتوحيد الكنيستين الأرثوذكسيين الحبشية والروسية . ولا شك أن الحماية الروحية لقيصر روسيا كانت هي المناوء الوحيد للحماية السياسية لإيطاليا ، وهذا يفسر أنه حتى قبل أن يحتج منليك على تحريف نصوص المادة ١٧ من معاهدة أوتشاللي ، لم تخطر حكومة سان بطرسبورج الحكومة الإيطالية بعلمها بهذه المعاهدة ، لأنها لم تكن لتوافق على اعتبار الحبشة في نفس مستوى السلطنات الأفريقية الأخرى ، وهي في نظر روسيا دولة مسيحية استطاعت خلال قرون عديدة الدفاع عن استقلالها ضد المسلمين بل وضد مصر ذاتها عامي ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ (٢) .

وكان الدبلوماسيون الفرنسيون من قصر النظر بحيث لم يدركوا خطورة وجود الإيطاليين في مصوع ، كما أنهم لما أخذوا علماً بمعاهدة أوتشاللي لم يثيروا عليها أية تحفظات ، ولم يدركوا أن من مصلحتهم - وقد التقت بمصلحة

تحل ببلاده النكبات على يديه . وكان الرأي العام الأوروبي خارج دول التحالف الثلاثي^(١) مؤيداً لنجاشي الحبشة منليك على أساس أنه يدافع عن استقلال بلاده ، ومعادياً للسنينور كريسبي باعتباره يمثل قوة غازية معتدية . ولم يكن من مصلحة فرنسا مثلاً أن ترى الحبشة تحت رحمة إيطاليا لأن في ذلك تقوية لنفوذ إنجلترا في البحر الأحمر منذ أن أصبحت إيطاليا دولة تدور في فلك إنجلترا .

وكان في وسع فرنسا أن تعتمد على نفوذ روسيا في الحبشة لمناهضة النفوذ الإيطالي إذ أن روسيا والحبشة يتبعان المذهب الأرثوذكسي ، وقد قويت العلاقات بينهما منذ عام ١٨٤٨ ، كما عملت روسيا من جانبها على أن يكون لها نفوذ روحي كبير في بلد لم يستكمل بعد أسباب الحضارة ، وكان الهدف الذي تسعى إليه هو إصلاح الكنيسة الحبشية بوضعها تحت إشراف بعض رجال الدين من الروس ، وذلك تمهيداً

(٢) Deville, op. cit., pp. 142-43.

(١) إيطاليا ، والنمسا - المجر ، وألمانيا .

الروس (١) تأييد نفوذهم الذي يؤدي بالتالي إلى تقوية نفوذ النجاشي واحتفاظه باستقلاله ورفضه الحماية التي تريد إيطاليا فرضها عليه بالقوة .

وكان من الواجب على فرنسا أن تعمل على تسهيل وصول البعثات الدينية والعلمية الروسية الى الحبشة عن طريق اوبوك ومع ذلك فأنها حتى شهر فبراير ١٨٩١ ، لم تكن قد أدركت بعد الفائدة التي تعود عليها من وراء ذلك حين نزلت بعثة روسية بقيادة أتشينوفا (Atchinof) في منطقة سجاللو (Sagallo) في الصومال الفرنسي وكانت البعثة تضم عدداً كبيراً من رجال الدين ومثبات من الأفراد الذين قدموا للدعاية للمذهب الأرثوذكسي والنفوذ الروسي في الحبشة . ولم يذعن أتشينوفا للأوامر التي صدرت اليه بالعودة إلى السفن التي جاء عليها إلا بعد إطلاق النار عليه ومقتل

خمسة أو ستة من رجاله . وقد أحدث ذلك رد فعل كبير في فرنسا ، حيث كان الشعور العام يعطف على روسيا ، وفتح باب الإكتساب لتعويض اهالي الضحايا الروس وكانت الحكومة الروسية قد أعلنت أن هذه البعثة لم تكن تعمل لحسابها ، ومع ذلك فقد بذلت عدة محاولات رسمية للاتصال بالحبشة . فسمح الفرنسيون بالمرور لبعثة سياسية روسية برياسة ماسكاو (Mascow) ، ولكن البعثة استدعت بناء على طلب إيطاليا ، ونظم الروس بعثة ثالثة زعموا أنها بعثة علمية قامت بالإشراف عليها الجمعية الجغرافية الامبراطورية الروسية واسندت رئاستها إلى ليوتنيف (Leotinev) . وقد سمحت لها سلطات أوبوك الفرنسية بالنزول في يناير ١٨٩٥ ، بل واستقبلها الحاكم الفرنسي لاجارد (Lagard) وقام بنقلها

(١) رغم أن روسيا ظلت بمعزل عن المنافسات القائمة بين الدول الأوروبية في افريقيا لأنها اكتفت بالمساحات الشاسعة التي احتلتها في أوروبا وآسيا ، فضلاً عن ان توسعها الإقليمي تم في اتجاه القوقاز وبلاد تركستان وبخارى وسمرقند وطشقند حتى مضاب فرغانة التي تصل بين بامبرواهند ، ومع ذلك فإن روسيا لم تتخل يوماً

عما ادعت أنه حقها في حماية المسيحيين الشرقيين الخاضعين للباب العالي ، ثم اتجهت نحو الكنيسة الحبشية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن الخامس . انظر :

(Pensa, H., L'Égypte et le Soudan Égyptien, Paris) 1895, p. 378.



الثلاث معا لتحقيق هذا الهدف تجمعهم في ذلك المصلحة المشتركة^(٢).

وقد حاولت روسيا بالفعل عدة مرات أن تضع يدها على ميناء على البحر الأحمر أو خليج تاجورة ، فعمد بعض الضباط والموظفين الروس إلى اغراء سلطان راحيتا (Raheita) بوضع بلاده تحت الحماية الروسية . وكانت راحيتا وقتئذ تحت الحماية الفرنسية وفقاً لمعاهدة ١١ مارس ١٨٦٢ وبالفعل وصل إلى راحيتا الكولونيل ارتمانوف (Arta-manoff) في نوفمبر ١٨٩٧ لهذا الغرض^(٣).

أما العلاقات بين منليك نجاشي الحبشة وإيطاليا فقد اخذت تتدهور بشدة بسبب الخلاف بينهما على تفسير نص المادة ١٧ من معاهدة أوتشاللي ، فقد بعث النجاشي إلى أومبرتو ملك إيطاليا بالرسالة التالية في ٢٧ سبتمبر ١٨٩٠ .

« في مناسبة عيد جلوسي على العرش ، أرسلت أخطاراً بذلك إلى الدول

على سفينة فرنسية إلى جيوتي ثم قادهم الى طريق هرر . وقد بلغت البعثة مدينة هرر في أول فبراير وهناك أبدى حاكم هرر الحبشي الرأس ماكونن احترامه لأحد أعضاء البعثة الأب زفرايم (Zephraim) . وينبغي عدم إغفال أهمية هذه البعثة خاصة وإن الحبشة في ذلك الوقت كانت مكبلة بأغلال معاهدة أوتشاللي^(١).

وبدأت فرنسا تدرك الأخطار التي تحيق بها وبالنفوذ الروسي في الحبشة إذا ما سيطرت إيطاليا على هذا الجزء من أفريقيا المعروف باسم القرن الأفريقي ، فالإيطاليون في مصوع والإنجليز في عدن يسيطرون على مدخل البحر الأحمر حيث ينبغي على فرنسا وروسيا أن تعملوا على تأمين مواصلاتهما مع أملاكهما في الشرق الأقصى . ولم يكن في وسع الدولتين الخروج من هذا المأزق سوى بالاستيلاء على مركز على ساحل البحر الأحمر يعمل لصالح فرنسا وروسيا بمعاونة الحبشة وبذلك تعمل هذه الدول

Deville, op. cit., p. 145.

(٢)

Ferrand, Les Çomalis, Paris 1903, p. 244. (٣)

Deville, op. cit., p. 144; Pensa, op. cit., pp. (١)

378-80.

من كلتا الرسالتين أن الحبشة بسبب المادة ١٧ باتت تعتبر بمثابة التابع لإيطاليا^(٢).

ورأت فرنسا أن تستفيد من تدهور العلاقات بين النجاشي وإيطاليا، ووجدت استعداداً من جانب منليك، وبدأت الأسلحة والذخائر تصل إلى الحبشة عن طريق الموانئ الفرنسية أوبوك وجيبوتي. وكانت فرنسا ملزمة بموجب معاهدة بروكسل عام ١٨٩٠ بمنع تسرب الأسلحة والذخائر، إلا أنه ليس هناك دليل مقنع على أن الحكومة الفرنسية بذلت أي مجهود لوقف شحن هذه الأسلحة. ولم يقف الروس أيضاً مكتوفي الأيدي، وقد مر بنا كيف رحب الأحباش في هرر ببعثة ليوتنف التي وصلت إلى أديس أبابا في يناير ١٨٩٥ محملة بالهدايا الكثيرة. وفي يوليو من نفس العام أرسل النجاشي سفارة كبيرة تنقل تحياته واحتراماته إلى قيصر روسيا. وقبل نهاية العام عاد ليوتنف إلى مسرح الأحداث وقيل أنه كان يقود المدفعية الحبشية أثناء معركة عدوة. وما من شك في أن ليوتنف هذا كان يعمل لنصرة القضية

الأوروبية الصديقة، وقد رأيت في أجوبتها ما يجلب الهوان لمملكتي، ويرجع السبب في ذلك إلى المادة ١٧ من معاهدة أوتشاللي. وبمراجعة المادة المذكورة اتضح لنا أن النسخة الأصلية المحررة باللغة الأمهرية لا تتفق والترجمة الإيطالية لها. فالمادة ١٧ تنص على أنني أستطيع (Je peux) الاستعانة بالوساطة الإيطالية وليس إنني أوافق (Je consens) على الإستعانة بالوساطة الإيطالية في كل الشؤون التي سوف اتصل فيها بأوروبا.

وقال أيضاً :

« إنني استفسرت لحظة توقيع الاتفاقية من الكونت أنطونيللي عن ذلك فافهمني أن لي مطلق الحرية في الاستعانة بوساطة إيطاليا أو عدم الاستعانة بها »^(١).

وفي الواقع لم تكن المادة ١٧ لتشوبها أية شائبة أو يحيط بها أي شك أوربية إلى أن وصلت النجاشي رسائل من امبراطور ألمانيا وملكة انجلترا يبلغانه أنهما لن يستطيعا الاتصال به مباشرة. وبدأ واضحاً

Ibid., pp. 88-91. (٢)

Citato dal Rossetti, op. cit., p. 79. (١)

بموافقة الدولتين وقال أن خطابات الملكة فيكتوريا والامبراطور غليوم - امبراطور النمسا والمجر - تؤيد كلها إيطاليا في ذلك الموقف^(٥).

وكانت مقاطعة تيجري التي تمس حدود أريتريا هي مسرح العمليات العسكرية بين الحبشة وإيطاليا ، وكان يحكمها الرأس منجاشا ابن الامبراطور السابق يوحنا ، ولم تحاول إيطاليا استغلال التنافس بينه وبين النجاشي على غرش الحبشة ، بل لقد ارتكب الايطاليون خطأ كبيراً بإعلانهم ضم مقاطعة تيجري دون أن يعوضوا صاحبها ، وبذلك دفعوا به الى أحضان النجاشي ، وأقسم له يمين الولاء .

وفي عدوة العاصمة التاريخية لتيجري مُنيّ الايطاليون بهزيمة ساحقة في أول مارس ١٨٩٦ وانسحبوا منها تاركين وراءهم ما يقرب من ٨ - ١٠ آلاف قتيل وسقطت مدفعيتهم في أيدي الأحباش قبل أن يستفيدوا منها ، وهكذا بدلاً من أن

الفرنسية - الروسية المشتركة^(١) . وما أن تسلم منليك الأسلحة والدخائر ، حتى بادر بإبلاغ الدول العظمى في ١٢ فبراير ١٨٩٣ بالغاء معاهدة أوتشاللي^(٢) وقال أنه لم يعد يلتزم بأي تعهد إزاء الملك أومبرتو ، وقد أجابت عليه روسيا وفرنسا بعلمهما بمحتويات خطابه^(٣) . ورغم أن النجاشي كان يدرك أنه بذلك سوف يثير عليه عداوة انجلترا التي أظهرت تأييدها للترجمة الإيطالية لمعاهدة أوتشاللي مما لا يدع مجالاً للشك في أنها سوف تتدخل في النزاع ، فقد كان في نفس الوقت مصمماً على ألا يسمح لإيطاليا بإنشاء امبراطورية عن طريق إساءة ترجمة اللغة الأمهرية^(٤) .

وجاء الرد الإيطالي في تصريح وزير الخارجية السنيور برن (Brin) في مجلس النواب الإيطالي في جلسة ١٧ يونيو ١٨٩٣ بأنه لا يعتقد أن في وسع منليك إلغاء معاهدة أوتشاللي ، ولكن يمكن تعديلها فحسب

(٤) Woolf, L., op. cit., pp. 78, 172.

(٥) Rossetti, op. cit., pp. 111-17; Pensa, op. cit., p.

(١) Woolf, L., op. cit., pp. 172-173.

(٢) Rossetti, op. cit., pp. 110-11.

(٣) Pierre-Alype, op. cit., p. 82.

يلتزم الطرفان بالحدود القائمة وقتذاك .
وتحررت المعاهدة باللغتين الأمهرية
والفرنسية لتفادي إساءة الترجمة كما حدث
بالنسبة للمادة ١٧ من معاهدة
أوتشاللي (٣) .

وقبل تخطيط الحدود بين الحبشة
والصومال كان قد وصل ضابط إيطالي
يدعى الكابتن بوتيجو الى لوج (Lugh)
الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جوبا
عام ١٨٩٣ وهي منطقة خصبة عامرة
بالسكان وسوق كبير للتبادل التجاري مع
الحبشة حتى مقاطعة شوا . وقد بنى بوتيجو
بها قلعة ووضع فيها ٤٢ جندياً برياسة
مساعدته فيراندي (Ferrandi) ، وهجم
الأحباش على هذه القلعة ولكن فيراندي
تمكن من صدّهم عنها فأطلق الايطاليون
على المكان (لوج فيراندي) .

ولا شك أن جهود الايطاليين بعد ذلك
في ديسمبر ١٨٩٦ لاستبقاء موقع لوج في
أيديهم يصور لنا مدى عدم إخلاصهم في

تفرض ايطاليا حمايتها على الحبشة كلها ،
فشلت حتى في الاحتفاظ بسيطرتها على
مقاطعة تيجري في أقصى شمال
البلاد (١) .

وفي اليوم التالي قدمت الوزارة الإيطالية
برئاسة السنيور كريسي استقالتها بعد أن
هتفت الجماهير في روما بسقوطه وبحياة
منليك !

وتشكلت حكومة جديدة برئاسة
المركيز دي روديني في ١٠ مارس ، ولم
يكن دي روديني مؤيداً لمشروعات
كريسي الاستعمارية في الحبشة ولولا
ضغط العناصر العسكرية لما تردد في
الانسحاب من أريتريا ذاتها (٢) .

وعقدت معاهدة الصلح في أديس أبابا
في ٢٦ أكتوبر ١٨٩٦ وقد نصت المادة
الثانية على إلغاء معاهدة أوتشاللي ،
واعترفت ايطاليا في المادة الثالثة بالحبشة
دولة مستقلة ذات سيادة . وتقرر أيضاً
تسوية مسألة الحدود في خلال عام على أن

(٣) انظر النص الكامل لمعاهدة الصلح بين ايطاليا والحبشة

في :

Rossetti, op. cit., pp. 181-83.

(١) Deville, op. cit., pp. 146-48.

(٢) Langer, op. cit., vol. II, p. 280.

الايطاليون بعد ذلك في ضم سلطنة لوج
بعد أن فقدت أهميتها التجارية لانعدام
الأمن فيها^(١).

ويرجع السبب في تساهل النجاشي مع
الحكومة الإيطالية عند تخطيط الحدود بين
الحبشة والصومال وعدم إصراره على
المطالبة بساحل بنادير ليكون مخرجاً
لبلادته ، على البحر ، هو أنه كان في بداية
عام ١٨٩٧ قد عقد اتفاقية مع فرنسا جاء
فيها :

« إن ميناء جيبوتي يعد بمثابة المخرج
الرسمي للتجارة الحبشية ، وإن السلع
والمواد الغذائية والأسلحة والذخائر التي
ترد لجلالته لا بد وأن تمر بهذا الطريق » .
وبذلك غدت جيبوتي المنفذ البحري
للحبشة .

وبمقتضى معاهدة أديس أبابا في ٢٦
أكتوبر ١٨٩٦ ، تخلت إيطاليا عن أطماعها
في هررو وإقليم أوجادن وهي التي تخلت لها
عنهما إنجلترا قبل عامين في بروتوكول مايو
١٨٩٤ الأمر الذي أدى إلى إجراء تعديل في

الصدقة التي نادوا بها في معاهدة الصلح
مع النجاشي والتي وقعت قبل شهرين (في
أكتوبر) .

وتقرر إفقاد ضابط يدعى نيراتزيني
(Nerazzini) إلى الحبشة في ٢٨ مارس
١٨٩٧ للاتفاق على تخطيط الحدود بين
الصومال والحبشة وعاد إلى إيطاليا في يونيو
يحمل خريطة توضح الحد الذي وافق
النجاشي على أن يفصل بين أملاكه في
الصومال وأملاك إيطاليا . وقال نيراتزيني
أن سلطان لوج كان قد ارتبط بمعاهدة كتابية
مع منليك اعترف فيها بتبعيته للحبشة ،
ولهذا رفض النجاشي الاعتراف بملكية
إيطاليا لسلطنة لوج ، وتمسك بإخراجها
من دائرة الحكم الإيطالي ، ولكنه لم
يعترض على وجود إيطاليا بساحل بنادير كله
الذي كانت قد وضعت يدها عليه بالإيجار
من سلطان زنجبار بمساعدة إنجلترا بعمق
عشرة أميال بحرية حول الموانئ ، وقد
وافق منليك على وجود إيطاليا في الساحل
بعمق مائة وثمانين ميلاً حتى أقصى الشمال
عند رأس جواردافوي . ولم يلح

(١) Bankhurst, op. cit., pp. 20-27.

الحدود بين منطقتي النفوذ الايطالية والانجليزية . وتم الاتفاق على أن يحد الصومال الايطالي جنوباً نهر جوبا حتى موقع لوج بمحاذاة الضفة اليسرى للنهر ، وغرباً بخط يبدأ من لوج حتى خط عرض ٣٠-٦° وعند التقاء خط عرض ٣٠-٦° مع خط طول ٤٦° شرق باريس ، يتجه الخط شمالاً بشرق حتى يلتقي مع خط ٩° ، وفيها يتصل بساحل خليج عدن على نفس خط العرض (١) .

الدكتور محمد سيد محمد

الثلاث معا لتحقيق هذا الهدف تجمعهم في ذلك المصلحة المشتركة^(٢) .

وقد حاولت روسيا بالفعل عدة مرات أن تضع يدها على ميناء على البحر الأحمر أو خليج تاجورة ، فعمد بعض الضباط والموظفين الروس إلى اغراء سلطان راحيتا (Raheita) بوضع بلاده تحت الحماية الروسية . وكانت راحيتا وقتئذ تحت الحماية الفرنسية وفقاً لمعاهدة ١١ مارس ١٨٦٢ وبالفعل وصل إلى راحيتا الكولونيل ارتمانوف (Arta-manoff) في نوفمبر ١٨٩٧ لهذا الغرض^(٣) .

أما العلاقات بين منليك نجاشي الحبشة وإيطاليا فقد اخذت تتدهور بشدة بسبب الخلاف بينهما على تفسير نص المادة ١٧ من معاهدة أوتشاللي ، فقد بعث النجاشي إلى أومبرتو ملك إيطاليا بالرسالة التالية في ٢٧ سبتمبر ١٨٩٠ .

« في مناسبة عيد جلوسي على العرش ، أرسلت أخطاراً بذلك إلى الدول

على سفينة فرنسية إلى جيبوتي ثم قادهم الى طريق هرر . وقد بلغت البعثة مدينة هرر في أول فبراير وهناك أبدى حاكم هرر الحبشي الرأس ماكونن احترامه لأحد أعضاء البعثة الأب زفرايم (Zephraim) . وينبغي عدم إغفال أهمية هذه البعثة خاصة وإن الحبشة في ذلك الوقت كانت مكبلة بأغلال معاهدة أوتشاللي^(١) .

وبدأت فرنسا تدرك الأخطار التي تحيق بها وبالنفوذ الروسي في الحبشة إذا ما سيطرت إيطاليا على هذا الجزء من أفريقيا المعروف باسم القرن الافريقي ، فالإيطاليون في مصوع والإنجليز في عدن يسيطرون على مدخل البحر الأحمر حيث ينبغي على فرنسا وروسيا أن تعملوا على تأمين مواصلاتهما مع أملاكهما في الشرق الأقصى . ولم يكن في وسع الدولتين الخروج من هذا المأزق سوى بالاستيلاء على مركز على ساحل البحر الأحمر يعمل لصالح فرنسا وروسيا بمعاونة الحبشة وبذلك تعمل هذه الدول

Deville, op. cit., p. 145.

(٢)

Ferrand, Les Çomalis, Paris 1903, p. 244. (٣)

Deville, op. cit., p. 144; Pensa, op. cit., pp. 378-80. (١)

من كلتا الرسالتين أن الحبشة بسبب المادة ١٧ باتت تعتبر بمثابة التابع لإيطاليا (٢) .

ورأت فرنسا أن تستفيد من تدهور العلاقات بين النجاشي وإيطاليا ، ووجدت استعداداً من جانب منليك ، وبدأت الأسلحة والذخائر تصل إلى الحبشة عن طريق الموانئ الفرنسية أوبوك وجيبوتي . وكانت فرنسا ملزمة بموجب معاهدة بروكسل عام ١٨٩٠ بمنع تسرب الأسلحة والذخائر ، إلا أنه ليس هناك دليل مقنع على أن الحكومة الفرنسية بذلت أي مجهود لوقف شحن هذه الأسلحة . ولم يقف الروس أيضاً مكتوفي الأيدي ، وقد مر بنا كيف رحب الأحباش في هرر ببعثة ليوتنف التي وصلت إلى أديس أبابا في يناير ١٨٩٥ محملة بالهدايا الكثيرة . وفي يوليو من نفس العام أرسل النجاشي سفارة كبيرة تنقل تحياته واحتراماته إلى قيصر روسيا . وقبل نهاية العام عاد ليوتنف إلى مسرح الأحداث وقيل أنه كان يقود المدفعية الحبشية أثناء معركة عدوة . وما من شك في أن ليوتنف هذا كان يعمل لنصرة القضية

الأوروبية الصديقة ، وقد رأيت في أجوبتها ما يجلب الهوان لمملكتي ، ويرجع السبب في ذلك إلى المادة ١٧ من معاهدة أوتشاللي . وبمراجعة المادة المذكورة اتضح لنا أن النسخة الأصلية المحررة باللغة الأمهرية لا تتفق والترجمة الإيطالية لها . فالمادة ١٧ تنص على أنني أستطيع (Je peux) الاستعانة بالوساطة الإيطالية وليس إنني أوافق (Je consens) على الاستعانة بالوساطة الإيطالية في كل الشؤون التي سوف اتصل فيها بأوروبا .

وقال أيضاً :

« إنني استفسرت لحظة توقيع الاتفاقية من الكونت أنطونيللي عن ذلك فافهمني أن لي مطلق الحرية في الاستعانة بوساطة إيطاليا أو عدم الاستعانة بها » (١) .

وفي الواقع لم تكن المادة ١٧ لتشوبها أية شائبة أو يحيط بها أي شك أوربية إلى أن وصلت النجاشي رسائل من امبراطور ألمانيا وملكة انجلترا يبلغانه أنهما لن يستطيعا الاتصال به مباشرة . وبدا واضحاً

(٢) Ibid., pp. 88-91.

(١) Citato dal Rossetti, op. cit., p. 79.

بموافقة الدولتين وقال أن خطابات الملكة فيكتوريا والامبراطور غليوم - امبراطور النمسا والمجر - تؤيد كلها إيطاليا في ذلك الموقف (٥).

وكانت مقاطعة تيجري التي تمس حدود أريتريا هي مسرح العمليات العسكرية بين الحبشة وإيطاليا ، وكان يحكمها الرأس منجاشا ابن الامبراطور السابق يوحنا ، ولم تحاول إيطاليا استغلال التنافس بينه وبين النجاشي على عرش الحبشة ، بل لقد ارتكب الايطاليون خطأ كبيراً بإعلانهم ضم مقاطعة تيجري دون أن يعوضوا صاحبها ، وبذلك دفعوا به الى أحضان النجاشي ، وأقسم له يمين الولاء .

وفي عدوة العاصمة التاريخية لتيجري مُني الايطاليون بهزيمة ساحقة في أول مارس ١٨٩٦ وانسحبوا منها تاركين وراءهم ما يقرب من ٨ - ١٠ آلاف قتيل وسقطت مدفعيتهم في أيدي الأحباش قبل أن يستفيدوا منها ، وهكذا بدلاً من أن

الفرنسية - الروسية المشتركة (١) .
وما أن تسلم منليك الأسلحة والذخائر ، حتى بادر بإبلاغ الدول العظمى في ١٢ فبراير ١٨٩٣ بالغاء معاهدة أوتشاللي (٢) وقال أنه لم يعد يلتزم بأي تعهد إزاء الملك أومبرتو ، وقد أجابت عليه روسيا وفرنسا بعلمهما بمحتويات خطابه (٣) . ورغم أن النجاشي كان يدرك أنه بذلك سوف يثير عليه عداوة إنجلترا التي أظهرت تأييدها للترجمة الإيطالية لمعاهدة أوتشاللي مما لا يدع مجالاً للشك في أنها سوف تتدخل في النزاع ، فقد كان في نفس الوقت مصمماً على ألا يسمح لإيطاليا بإنشاء امبراطورية عن طريق إساءة ترجمة اللغة الأمهرية (٤) .

وجاء الرد الإيطالي في تصريح وزير الخارجية السنيور برن (Brin) في مجلس النواب الإيطالي في جلسة ١٧ يونيو ١٨٩٣ بأنه لا يعتقد أن في وسع منليك إلغاء معاهدة أوتشاللي ، ولكن يمكن تعديلها فحسب

(٤) Woolf, L., op. cit., pp. 78, 172.

Rossetti, op. cit., pp. 111-17; Pensa, op. cit., p. (٥)

(١) Woolf, L., op. cit., pp. 172-173.

(٢) Rossetti, op. cit., pp. 110-11.

(٣) Pierre-Alype, op. cit., p. 82.

يلتزم الطرفان بالحدود القائمة وقتذاك .
وتحررت المعاهدة باللغتين الأمهرية
والفرنسية لتفادي إساءة الترجمة كما حدث
بالنسبة للمادة ١٧ من معاهدة
أوتشاللي (٣) .

وقبل تخطيط الحدود بين الحبشة
والصومال كان قد وصل ضابط إيطالي
يدعى الكابتن بوتيجو الى لوج (Lugh)
الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جوبا
عام ١٨٩٣ وهي منطقة خصبة عامرة
بالسكان وسوق كبير للتبادل التجاري مع
الحبشة حتى مقاطعة شوا . وقد بنى بوتيجو
بها قلعة ووضع فيها ٤٢ جندياً برياسة
مساعدته فيراندي (Ferrandi) ، وهجم
الأحباش على هذه القلعة ولكن فيراندي
تمكن من صدهم عنها فأطلق الايطاليون
على المكان (لوج فيراندي) .

ولا شك أن جهود الايطاليين بعد ذلك
في ديسمبر ١٨٩٦ لاستبقاء موقع لوج في
أيديهم يصور لنا مدى عدم إخلاصهم في

تفرض إيطاليا حمايتها على الحبشة كلها ،
فشلت حتى في الاحتفاظ بسيطرتها على
مقاطعة تيجري في أقصى شمال
البلاد (١) .

وفي اليوم التالي قدمت الوزارة الإيطالية
برئاسة السنيور كريسي استقالتها بعد أن
هتفت الجماهير في روما بسقوطه وبحياة
منليك !

وتشكلت حكومة جديدة برئاسة
المركيز دي روديني في ١٠ مارس ، ولم
يكن دي روديني مؤيداً لمشروعات
كريسي الاستعمارية في الحبشة ولولا
ضغط العناصر العسكرية لما تردد في
الانسحاب من أريتريا ذاتها (٢) .

وعقدت معاهدة الصلح في أديس أبابا
في ٢٦ أكتوبر ١٨٩٦ وقد نصت المادة
الثانية على إلغاء معاهدة أوتشاللي ،
واعترفت إيطاليا في المادة الثالثة بالحبشة
دولة مستقلة ذات سيادة . وتقرر أيضاً
تسوية مسألة الحدود في خلال عام على أن

(٣) انظر النص الكامل لمعاهدة الصلح بين إيطاليا والحبشة

في :

Rossetti, op. cit., pp. 181-83.

(١) Deville, op. cit., pp. 146-48.

(٢) Langer, op. cit., vol. II, p. 280.

الايطاليون بعد ذلك في ضم سلطنة لوج
بعد أن فقدت أهميتها التجارية لانعدام
الأمن فيها^(١).

ويرجع السبب في تساهل النجاشي مع
الحكومة الإيطالية عند تخطيط الحدود بين
الحبشة والصومال وعدم إصراره على
المطالبة بساحل بنادير ليكون مخرجاً
لبلاده ، على البحر ، هو أنه كان في بداية
عام ١٨٩٧ قد عقد اتفاقية مع فرنسا جاء
فيها :

« إن ميناء جيبوتي يعد بمثابة المخرج
الرسمي للتجارة الحبشية ، وإن السلع
والمواد الغذائية والأسلحة والذخائر التي
ترد لجلالته لا بد وأن تمر بهذا الطريق » .

وبذلك غدت جيبوتي المنفذ البحري
للحبشة .

وبمقتضى معاهدة أديس أبابا في ٢٦
أكتوبر ١٨٩٦ ، تخلت إيطاليا عن أطماعها
في هررو وإقليم أوجادن وهي التي تخلت لها
عنهما انجلترا قبل عامين في بروتوكول مايو
١٨٩٤ الأمر الذي أدى إلى إجراء تعديل في

الصدافة التي نادوا بها في معاهدة الصلح
مع النجاشي والتي وقعت قبل شهرين (في
أكتوبر) .

وتقرر إيفاد ضابط يدعى نيراتزيني
(Nerazzini) الى الحبشة في ٢٨ مارس
١٨٩٧ للاتفاق على تخطيط الحدود بين
الصومال والحبشة وعاد الى ايطاليا في يونيو
يحمل خريطة توضح الحد الذي وافق
النجاشي على أن يفصل بين أملاكه في
الصومال وأملاك ايطاليا . وقال نيراتزيني
أن سلطان لوج كان قد ارتبط بمعاهدة كتابية
مع منليك اعترف فيها بتبعيته للحبشة ،
ولهذا رفض النجاشي الاعتراف بملكية
ايطاليا لسلطنة لوج ، وتمسك بإخراجها
من دائرة الحكم الإيطالي ، ولكنه لم
يعترض على وجود ايطاليا بساحل بنادير كله
الذي كانت قد وضعت يدها عليه بالإيجار
من سلطان زنجبار بمساعدة انجلترا بعمق
عشرة أميال بحرية حول الموانئ ، وقد
وافق منليك على وجود ايطاليا في الساحل
بعمق مائة وثمانين ميلا حتى أقصى الشمال
عند رأس جواردافوي . ولم يلح

(١) Bankhurst, op. cit., pp. 20-27.

الحدود بين منطقتي النفوذ الإيطالية والانجليزية . وتم الاتفاق على أن يحد الصومال الإيطالي جنوباً نهر جوبا حتى موقع لوج بمحاذاة الضفة اليسرى للنهر ، وغرباً بخط يبدأ من لوج حتى خط عرض ٣٠-٦° وعند التقاء خط عرض ٣٠-٦° مع خط طول ٤٦° شرق باريس ، يتجه الخط شمالاً بشرق حتى يلتقي مع خط ٩° ، وفيها يتصل بساحل خليج عدن على نفس خط العرض (١) .

الدكتور محمد سيد محمد

(١) Ferrand, op. cit., p. 241.

المراجع

- 1 - Bankhurst, S., Ex-Italian Somaliland, London 1951.
- 2 - Cocheris, J., Situation Internationale de l'Egypte et du Soudan, Paris 1904.
- 3 - Darcy, J., France et Angleterre: Cent Années de Rivalité Colonial Paris 1904.
- 4 - Deville, V., Partage de l'Afrique, Paris 1998.
- 5 - Ferrand, Les Çomalis, Paris 1903.
- 6 - Guyots, l'Italie devant le problème colonial, Paris 1927.
- 7 - Hertslet, The Map of Africa By treaty, London 1894, vol II.
- 8 - Hanger, W., The Diplomacy of Imperialism, New York 1935, 2 vols.
- 9 - Neri, I., La questione del Nils, Roma 1939.
- 10 - Pensa, H., l'Egypte et le Soudan Egyptien, Paris 1895.
- 11 - Pierre- Ahype, l'Empire des Négus, Paris 1925.
- 12 - Rossette, Storia Diplomatica della Etiopia durante il Regnodi, Ménelik II, Torino 1910.
- 13 - Woolf, L., Empire and Commerce in Africa, New york 1902.

